

أوجه التشابه والاختلاف بين الشعاعرين (التجاني والشابي)

بقلم: محمد عبد المنعم

تلقي هذه المره مع شاعرين فصيحين، أحدهما شاعرنا «التجاني يوسف بشير» (١٩١٠-١٩٣٧م) الذي ولد بمدينة أم درمان ثم أدخل خلوة عمه «مُحمَّد الكتّابي» حتى حفظ القرآن الكريم وبعض علوم العربية وأدائها، ثم أدخل مهجد أم درمان العلمي وقيل تخرجه منه، فصل بقرار تعسفي من مدير المعهد -آنذاك- بسبب رأيه في مسألة ما، عمل «التجاني» بشركة سنجر لمكينات الخياطة -مكتنصل، ويعدها عمل محرراً ثقافياً بصحيفة أم درمان حتى وفاته. ولم يتمكن التجاني سبب في عدم تمكّنه من السفر لمصر والإلتحاق بالأزهر الشريف. أمّا الشاعر الآخر فهو شاعر تونس الخضراء أبو القاسم الشابي (١٩٠٩-١٩٣٤م) الذي ولد بمدينة توزر التي تقع في الجنوب الغربي للبلاد. كان والد أبو القاسم من خريجي الأزهر الشريف، وبعد تخرجه عمل قاضياً شرعياً لكثير من البلدان التونسية. نال الشاعر التونسي «أبو القاسم الشابي» تعليماً دينياً وأكاديمياً أهله ليعمل بإحدى الوظائف في مسقط رأسه بعد أن تخرج بجامع الزيتونة. للشابي ديوان «أغاني الحياة» وكتاب «الخيال الشعري عند العرب» وللتجاني ديوان «إشراق» وبعض مقالات أدبية نشرها في مجلة أم درمان لصاحبها الأستاذ «مُحمَّد عبد الرحيم». إننا اذا تأملنا مسيرة شاعرنا، نجد

أنهما عاشا ما بين الحربين الأولى والثانية، وعاشا في ظروف استعمارية خاضتها بلادنا مع المستعمر الإنجليزي في حين نجد تونس استعمرتها فرنسا. إننا نجد أنّ كلا الشاعرين توفياً إلى رحمة مولاهما- وهما في ريعان الشباب، مقدّماً نبوغاً باكراً قلّ أن يجود به الزمان، وذلك في أشعارهما وأفكارهما النيرة. وكانا يمتازان بذكاء حاد وتوقد وتوهج لفرحة كل منهما. لقد كان لنبوغهما المبكر سبب في رحيلهما المبكر. لقد أطلع كل من الشاعرين علي تراثنا الشعري القديم منذ العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي ونايا عن التأثر بشعر الركون الأدبي الذي ساد في أواخر حكم العباسيين مائلته من فترات حكم التتار والمماليك والأتراك العثمانيين. قرأ كل من الشاعرين لجماعة الديوان التي كان من أعضائها الأديب الفذ والناقد «عباس محمود العقاد» والشاعران «عبد الرحمن شكري والمازاني» وجماعة أبولو الشعرية التي من أعضائها «د. أبوشادي، د. إبراهيم ناجي، الهمشري، محمود حسن اسماعيل، علي محمود طه(المهندس)». وكذلك جماعة الرابطة العلمية بزعامة «جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، أبوماضي رشيد أيوب» وجماعة العصبية الأندلسية في ريو دي جانيرو بالبرازيل ويونس ايرس بالأرجنتين بزعامة «إلياس فرحان، إلياس خوري، رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)». لكننا نجد أن شاعرنا التجاني تأثر بالفلاسفة أكثر من الشاعر



التجاني يوسف بشير



ابوالقاسم الشابي

البلدان شمالاً ووسطاً وجنوباً. يميّز شعر التجاني بالغموض، وذلك نتيجة لتأثرة بالرمزية الصوفية بكل ما فيها من إيحاءات وغموض ورموز هذه الرمزية الصوفية التي تأثر بها شاعرنا الراحل «محمد المهدي المجذوب» في قصيدة المولد النبوي الشريف. لم يستخدم كل من الشاعرين فنون البديع من جناس وطباق وتورية..الخ إلا نادراً جدا وغموض الخاطر بلا تكلف وتعمد. وفنون البديع المختلفة اذا جاءت غفو الخاطر فهي بلا شك تكسب الأساليب الشعرية فريداً من الموسيقى الشعرية الفعلية. أمّا اذا تعمّدها الشاعر أو الأديب وأكثر منها فإنها تكبل الأساليب

الذي تأثر بفيلسوف العرب بن سينا وفيلسوف الألمان نيتشه وقرأ لابن عربي والحلاج وعمر بن الفارض سلطان العشق الإلهي. إن شعر التجاني متأثر بشعر العقاد الذي هو شاعر الفكر لا شاعر العاطفة الخالصة وكذلك بالشاعر السوري «عمر أبو ريشة»، في حين نجد شعر الشابي شديد التأثر بشعر الرابطة العلمية خاصة جبران وميخائيل نعيمة. ووصف الطبيعة ومراتع الصبا يسيطر على شعر الشابي، وذلك لطبيعة البلدان التونسية الساحرة التي تكسوها أشجار صنوبر والسنديان. الشابي عندما كان مريضاً، كثير التثقل والتّرحال بين هذه

الشعرية وتمنعها من التدفّق والانطلاق وتكون خصماً علي المعاني ومدلولاتها. من الإستعارات الجميلة وهي إستعارة مكنية قول الشابي في قصيدة قلب الشاعر: هاهنا في قلبي الرجب العميق يرفض الموت وأطياف الوجود هاهنا نمشي للأمانى والهوى والأسى، في موكب فخم الشيد فالشاعر هنا جعل الموت وأطياف الوجود في موقف رقص والأمانى تمشي. والإستعارة هي تشبيه حُدْف أحد طرفيه ورُمز له بشئ من لوازمه. وهذه الإستعارة نجدها في قصيدة في محراب النيل التي إختار فناننا الخالد الراحل/ عثمان حسين بعض أبيات منها ولحنها وغناها وسُجّلت للإذاعة أوائل فترة الخمسينيات ومطلعها: أنت يا نيل يا سليل الفرائيس، نبيل موفّق في حسابك أما الإستعارة فنجدها في البيت أدناه وهو قوله: حضنتك الإملاك في جنّة الخلد ورقت علي وضئ عباك وأمدت عليك أنجحة خُصراء، وأضفت ثيابها في رحابك في عبارة حضنتك الإملاك حتى آخر البيت إذ لا يمكن حقيقة للملائكة أن تحضن نهر النيل. وهنا خيال تركيبي جاء من تجسيم المعاني الذي أحدث هذه الإستعارة وهذه القصيدة نظمها التجاني علي البحر الخفيف الشعري وهو من البحور الشعرية التي يصعب

النظم عليها علي عكس بحور الرّفل، الكامل، الواجز التي يسهل النظم عليها ووزن البيت الأول هو: فاعلاتنْ، فاعلاتنْ، فاعلاتنْ، فاعلاتنْ، فاعلاتنْ، فاعلاتنْ. فنلاحظ هنا جواز في تفعيلة (فاعلاتنْ) أن «تتصير (فاعلاتنْ) ويلحق تفعيلة مُستَفْعِلنْ فتصير (مفاعلتنْ). إن النهضة الأدبية التي ننعم بها الآن لم تات بين عشية وضحاها، وإنما مرّت بخطوات وثيدة، فيمكن القول بأنّ الشاعر المصري محمود سامي البارودي الذي هو باعث النهضة الشعرية في مصر وظهور شاعرنا الراحل محمد سعيد العباسي، بعض هذه الأسباب وهذا بالإضافة إلي ظهور المكتبات ودور الصحف والنوادي الثقافية في كل من مصر وسوريا ولبنان ولضيق المجال لأنود أن نورد هنا وكذلك المطابع والادباء كدكتور طه حسين عميد الأدب العربي وكذلك شاعر القطرين وأبو الرومانسية في الوطن العربي خليل مطران مترجمين، مترجما كثيراً من آثار الغرب الأدبية إلي اللغة العربية بما فيها من آثار شعرية ونثرية ومسرحية. ونشطت حركة الإشتراق منذ القرن العاشر الميلادي، وأنشأت معاهد عديدة في برلين، لندن، باريس لتدريس اللغات الشرقية ومنها لغتنا العربية. وهنا صدرت عدد من الصحف والمجلات، ومنها مجلتا الفجر والنهضة.

من الأغاني الفولكلورية التي تعكس بعض سمات الشعب السوداني الآفرو/عربي



دفع الله أحمد الحاج الدمازين «الشيخ سيرو» أغنية فولكلورية أبدعتها الشاعرة الشعبية (أم برعة بنت الفحل) التي كانت تسكن في قرية (السبال) بالقرب من بلدة (العديدج) في شرق الجزيرة. وكما هو معلوم جغرافيا فإن شرق الجزيرة تعتبر إحدى بوياث النيل التي تطل على (البطانة) ولهذا فاننا نجد الأغاني في هذا الجزء العزيز من الوطن قد جمعت بين مفردات وإيقاعات اغاني الوسط والسيرة والدلوكة والطبول والنوبات الإفريقية الي جانب إيقاعات الدوبيت وأغاني البدو إنه مزيج من الجماليات السدى بشكل جزء هاما من الكل الثقافي الحضارى للشعب السوداني.

ود الشيخ مصطفى..العقد الدم بالعصا والأبواب بالطبع مفتوحة للضيفان ليل نهار: النصيح حديدو البودر اب غرة فوق مسيدو الشيخ سيرو أيضا من ألوان الكرم التي يمارسها شيخنا جلب الأقمشة من أم درمان- البقعة- ليكسي الفقراء والمحتاجين كنوع من التكافل والتراحم تقول الأغنية: يومه الدخل البقعة جالا كمل قماش النصارى والنوبات الإفريقية الي جانب إيقاعات الدوبيت وأغاني البدو إنه مزيج من الجماليات السدى بشكل جزء هاما من الكل الثقافي الحضارى للشعب السوداني.

ومما يميز أغنية الشيخ سيرو : أولى هذه المضامين التغنى بالكرم وفي هذا المجال هنالك العديد من قصائد الدوبيت بالبوادي كما سارت الامثال والحكايات عن الأرياف والحضر بالسودان عن أولئك الكرماء الذين لا تنتفض نيران الضيافة في بيوتهم ويكرمون الضيف وإن جاء (هجة ليل). ونأتى للمشهد الأول من الأغنية انه يبداء بعرض ادوات العرس وتأتى (الشيلة) أولا تتهيدا للزفاف و(السيرة) ومن ثم تبدأ بتابع وقنوات الكرم الحاتمي في التدفق. يقول المقطع الاول من الأغنية : عشرة دقور صندلية عشرة دقور محلبية عشرة كتابشيلة للضحية ولكن ماذا عن المهر او سداد المال ؟ ها هي (النسيبة الفنجرية) تعلن كما تقول الأغنية بأن العريس (فوق الألف زاد سبعمية) وتتعالى الزغاريد، اما بالنسبة للإضياف وإذا تبدأ طقوس الكرم الحاتمي فإن لهم من طيبات اماكن الطعام (التكية) داخل (المسيد) ما يحفز عصارات الهضم في المعدة، تقول الاغنية : ثلاثة أرابد غدا وليس هذا عسب بل إن الشيخ المدوح قد أقام ما يشبه بلغة إدارات الصحة في المحليات (سلخانة) لكي تنحرف فيها الذبائح لإكرام الضيوف تقول الاغنية :

قصيدة ماتزال حية لمعين بسيسو



محمد الجندي

كل الرايات المنقبة قد عادت يا وطني لإرايتك المنقبة من أفق ترتحل إلي أفق في سوق لصوص الرايات تباع بلا ثمن صاح «النحاس» تقدم بالخنجرة الملعونة والمحشوة بالخطب خذها لا تخجل خذ راية وطني ما أرخصها ويسيف من «ورق» أو سيف من خشب ضفر منها إكليلا من ريش لتزين راس « الديك الهرم» الصالح في كل الأسطح والراقدين في كل السرر لكن من يتبع في وطني خطوات السيف الخشبي من يلقي سنبله واحدة في طاحون من ورق والقوا السيف الخشبي ما زال من الراية خيط ينمو في ربحك يا وطني (معين بسيسو - فلسطين في القلب)

ويستند الفلسطيني العادي " أين الأشقاء " " أين المسلمين " " الأشقاء " و "المسلمين" لديهم هموم أخرى . أما الهم الفلسطيني فيجب أن يحمله الفلسطينيون أنفسهم . ويصرخ الفلسطيني العادي " أين أمريكا ؟ أين مجلس الامن لماذا لا يضغطان على إسرائيل ؟ نكتة الإدارة الأمريكية هي التي أنشأت إسرائيل ، وضد شعوب المنطقة فهل يعقل أن تضغط على إسرائيل والإدارة الأمريكية تهيمن على مجلس الأمن فهل يضغط هذا على إسرائيل ؟ بالعكس إنهما يضغطان على الفلسطينيين ، وعلى الإدارات العربية ، وزير الخارجية الأمريكي السابق دورن كريستوفر ضغط على الإدارات العربية لرفع المقاطعة العربية لإسرائيل التي كانت شكلية أصلا ، ورفعت المقاطعة ، والسيد جورج ميشيل طلب في مصر " أخبار من الإدارات العربية القيام بمبادرة تجاه إسرائيل اما الإدارة الإسرائيلية فغير مطلوب منها شئ ، مطلوب أن تجلس على كرسيها منقوشة الريش تتلقى آيات الخضوع من كل صوب ، من الزعامات الفلسطينية ، ومن الإدارات العربية والإسلامية . كل ذلك بيهي ، ويجري أمام أعيننا ، ومع ذلك يبقى الناس يلقون بسنابلهم في الطواحين الورقية هنا وهناك متى يبدأ النضال الحقيقي ، لا متى يبدأ الالتماس الفلسطيني؟ متى يبدأ النضال الحقيقي ، لاالورقي على أصعدة البلدان العربية متى يرفرف خيط الراية الفلسطينية الباقي في الريح الحية متى ترفرف خطوط الرايات العربية الباقية في الريح الحية؟ لقد قال المرحوم معين بسيسو قصيدته في ستينات القرن الماضي، وماتزال الاموريسية؛ ويتمنى المرء الاتبقى الامور كذلك.

من أقوال منيف

والنبل. وحتى غياب الناس، على أساس أن عصرهم قد انتهى، لا يعني غياب المشكلة أو غياب الناس نهائياً. ولم أرَ في الواقع أن أصدم القارئ والبطولة هي بطولة الناس الجهوليين، أي الناس المغتربين بشكل مقصود. فانا عندما عالجت هذا الموضوع، وتحديداً في «مدن الملح»، كان في ذهني أن أحاول قدر الإمكان كتابة التاريخ غير المكتوب، بمعنى أن التاريخ الرسمي قد دون وانتهى أمره، وهو تقريبا التاريخ الرائج والسائد الآن. فانا أذن حاولت أن أكتب بمعنى ما تاريخاً موازياً للناس الجهوليين وللحياة التي كانت سائدة آنذاك. ولهذا السبب نشأ نوع من الصراع ونوع من المعاناة الكبيرة، بحيث أن الناس (الشخصيات)، عندما تعاملوا مع الوقائع والأحداث فإنهم تعاملوا معها بالكثير من الصدق

من ناحية أخرى أن يضاعف من حساسيتهم في التعامل معها، وليس مهمته التبشير وطرح الحلول. يعني أنك كلما تخلق قلقاً إيجابياً عند الآخرين تدفعهم إلى التساؤل، وكلما حاولت معهم لكي يفهموا واقعهم برؤية أوضح فإن العمل الفني يخدم حينئذ المرحلة ويخدم الناس والفن. فالقضية ليست استدرار عطف أو محاولة تبرير مواقف، وليست قضية دفاع عن شخصيات منفردة ومعزولة، وإنما هي رسم بانورامي للحياة في مرحلة معينة بما يتخللها من صعوبات وخيبات أمل وأحلام مكسورة. وهي أخيراً صورة أو مجموعة صور، وبالتالي مطلوب من القارئ أن يعيد تركيبها من جديد. (عبد الرحمن منيف، حوار غير منشور أجراه حسين الموزاني)